مجلة أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات القانونية والاقتصادية والإنسانية برؤية حضارية تكاملية
A peer-reviewed journal in law, economics, and humanities from an integrative civilizational perspective

تصنيف العلوم وفلسفة التكامل المعرفي في الغرب الإسلامي

الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102) أنموذجا

محمد شرنان
باحث بسلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن طفيل -القنيطرة

ملخص:

يمثل تصنيف العلوم مدخلا مهما لاستجلاء المعالم الفلسفية لإبستمولوجيا العلوم في الغرب الإسلامي خصوصا فيما يتعلق بالتكامل المعرفي؛ وهي تقوم على مرتكزات منها: استقلال العلوم من حيث الموضوع والمنهج، وتكاملها وظيفة وغاية، مع الجمع بين العقل الشرعي والعقل الفلسفي، فتحققت المزاوجة بين التصنيف والتكامل. فالعلوم نسق ترابط وتنسجم داخله التخصصات، والمعتبرة منها في هذا النسق هي الخادمة للحقيقة الدينية، وترتيبها ينسجم مع البُعد التعليمي للتصنيف. إن كتاب اليوسي "القانون" يمثل نموذجًا في هذا المضمار؛ لأنه يتناول العلوم ببعديها التكاملي والتعليمي، مع تقديم تصور شامل للمعارف، فكان أن حظي بمكانة رفيعة ضمن المصنفات التي اهتمت بتنظيم المعرفة.

كلمات مفتاحية: فلسفة العلوم، فلسفة التكامل المعرفي، العلوم العقلية، الغرب الإسلامي.

Abstract:

The classification of the sciences constitutes an important entry point for elucidating the philosophical dimensions of the epistemology of science in the Islamic West, particularly with regard to the integration of knowledge. It is grounded in several principles, including the independence of the sciences in terms of subject matter and methodology, their functional and teleological complementarity, and the integration of the religious intellect with the philosophical intellect. This resulted in a synthesis between classification and integration. The sciences thus constitute an interconnected and coherent system in which different disciplines are mutually related. Within this system, the sciences deemed valuable are those that

serve religious truth, while their ordering is consistent with the educational dimension of classification. Al-Yusi's *Al-Qanun* represents a significant model in this field, as it approaches the sciences from both an integrative and educational perspective, while providing a comprehensive conception of knowledge. It consequently occupies a distinguished position among works concerned with the organization of knowledge.

Keywords: Philosophy of Science; Philosophy of Knowledge Integration; Rational Sciences; Islamic West.

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، نتطلع في هذه الورقة إلى تسليط الضوء على بعض ملامح فلسفة تكامل العلوم في فكر علماء الغرب الإسلامي، مع ذكر أهم الأعلام المغاربة الذين نبغوا في هذا المجال، أو بعبارة أخرى تسليط الضوء على ملامح النظر الفلسفي المرتبط بتكامل العلوم في البيئة العلمية بالمغرب الأقصى، وكنموذج على ذلك سأستعرض شيئا من معالم فلسفة التكامل المعرفي عند الإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102هـ) من خلال كتابه "قانون العلوم".

إشكالية البحث

إن تسليط الضوء على الجوانب العلمية الفلسفية خصوصا ما يتعلق بتصنيف العلوم وترتيبها، والعلاقات بين العلوم العقلية والنقلية في منظومة المعارف بالغرب الإسلامي عامة وعلى العهد العلوي خاصة، يأتي كمحاولة لإغناء الدراسات التي استهدفت الحياةَ العلمية في الغرب الإسلامي خصوصا في بلاد المغرب الأقصى، وهذا بغرض الإحاطة والإلمام أكثر بإسهامات علمائه المفكرين، وما تزخر به مؤلفاتهم من درر مكنونة.

ولكون أغلب هذه الدراسات ركزت على الجوانب السياسية والعسكرية والتاريخية والعلوم النقلية، فلم تحظ فلسفة العلوم في الغرب الإسلامي بما تستحقه من اهتمام أكاديمي كاف يوفيها حقها.

فهل كان تصنيف العلوم في الغرب الإسلامي، وخصوصا على العهد العلوي تصنيفًا فلسفيًا محضا، أم تصنيفًا بقصد التدريس والتعليم؟ وما دور المنظومات والموسوعات مثل "الأقنوم في مبادئ العلوم" و"القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم" في إعادة تصنيف وترتيب العلوم؟ وهل يمكن القول بتفرد إبستمولوجي مغربي خالص؟

وإلى أي حد أسّس علماء الغرب الإسلامي في العصر الحديث لفلسفة التكامل المعرفي من خلال تصنيفهم للعلوم وتنظيمهم لعلاقاتها؟ وكيف تجلت في مشاريعهم العلمية والتعليمية؟ وكيف نَظَّر مفكرو الغرب الإسلامي للعلاقة بين العلوم النقلية والعلوم العقلية كالمنطق، الفلسفة، والحساب منذ بداية العصر الحديث؟

أهداف البحث

إن من أهداف البحث التأكيدَ على أهمية تظافر وتكامل علوم العقل مع علوم النقل في النهوض بواقع الأمة، وذلك بربط العلم بالممارسة، و العودة إلى الأصالة القرآنية من خلال الجمع بين هذه العلوم وبين معطيات العصر، وتفعيل دور العلماء في هذا الاتجاه، وذلك بدمج الأصالة والمعاصرة في مشروع حضاري واضح المعالم يركز على الوعي الفكري، بالاستفادة من الرصيد الفلسفي الإسلامي المتراكم عبر العصور، ناهيك عن دور العلوم الطبيعية الإسلامية المتمثلة في العلوم الكونية والمادية التي أبدع فيها علماء الغرب الإسلامي، بهدف فهم الكون وتسخيره وفق السنن الإلهية، وما لهذه العلوم من علاقة وطيدة بالعلوم التكنولوجية التي أصبحت اليوم تفرض واقعا تعليميا جديدا ينبغي مواكبته كما واكب الأسلاف واقعهم وأثَّروا فيه.

منهجية البحث

اعتمدت المنهج التحليلي الاستنتاجي لتحديد معالم فلسفة التكامل المعرفي عند اليوسي. والنظر المنهجي يقتضي تناول الموضوع من خلال مقدمة تنتهي بتمهيد مفاهيمي يتأسس عليه البحث، وأخص بالذكر مفاهيم: فلسفة العلوم، فلسفة التكامل المعرفي، العلوم العقلية، والغرب الإسلامي، ثم تناول صلب الموضوع من خلال مبحثين، أخصص أولهما لتناول تصنيف العلوم والتكامل المعرفي في الغرب الإسلامي بصفة عامة، ويأتي المبحث الثاني على قراءة تصنيف أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي(ت 1102هـ) "القانون" من زاوية فلسفية تروم استكناه ملامح التكامل المعرفي التي يستبطنها كتابه الشهير في تصنيف العلوم، ويأتي اختيار العالم الحسن بن مسعود اليوسي لكونه نموذجا للمفكرين

المتمرسين و العلماء المبرزين في المنقول والمعقول من العلوم في الغرب الإسلامي، فاجتمع فيه ما تفرق في غيره، وقد شمل تصنيفَه العلومَ الرائجة منذ العصر العلوي الأول من علوم النقل، النظر، والطبيعيات، ثم سأعقبهما بخاتمة تلخص نتائج البحث، وسأضمنها توصيات إلى جانب آفاق مرتبطة بالموضوع.

تمهيد مفاهيمي

قبل خوض غمار البحث لابد من ضبط منهجي مصطلحي يتعلق بمفاهيم يرتكز عليها البحث، حيث تمثّل المصطلحات وعاءً للأفكار والدّلالات، مما يقتضي ضرورة الإشارة إلى مضامينها المعرفية، ونقتصر على ما له علاقة وطيدة بالموضوع، على النحو التالي:

فلسفة العلوم:

أو الأبستمولوجيا، ويُنعتُ كذلك بفقه العلوم، وهو علم يروم دراسة موضوعات العلوم ومناهجها وأنساقها النظرية ومفاهيمها المفتاحية، وكذلك الأسئلة المرتبطة بتاريخ العلوم في حضارة ما، وهي " أساس الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم ولفروضها ونتائجها بقصد تحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية."[1]

وما زال من الصعب استقلال فلسفة العلوم عن مختلف الدراسات المتقاطعة معها، كالإبيستمولوجيا و الميتودولوجيا بمعناها العام أو نظرية المعرفة بفواصل وحدود نهائية،[2] وهذا ما دفع البعض إلى القول بأنه سواء سُمي "منطقاً خاصاً، أو منطقاً كبيراً، أو نظرية اليقين، أو نظرية المعرفة، أو ابيبستيمولوجيا، أو كنوزيولوجيا Gnoseologic أو علم المعاييرCriueriologie ، أو النقد، فإن البحث الذي نقوم به، كان هدفه دوماً، بشكل أو بآخر، هو بيان شروط المعرفة البشرية وقيمها وحدودها."[3]

وعند علماء الغرب الإسلامي يمكن تلمس تجليات هذا العلم ضمن إنتاجاتهم المرتبطة بعلوم النظر، وخصوصا مباحث تصنيف العلوم، ومراتبها ومبادئها، حيث لم يوظفوا مصطلح "فلسفة العلوم" بصيغته الحالية، وإن كانت مؤلفاتهم في تصنيف العلوم تستبطن معالم هذه الفلسفة.

---

[1] د محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي مركز دراسات الوحدة العربية، ط 5 بيروت 2002 ص 18

[2] عن المصدر السابق ص 19

[3] L'épistémologie thomiste - Georges van Riet (Éditions de l'Institut Supérieur de Philosophie, Louvain, 1946) p 637

فلسفة التكامل المعرفي:

هي "مشروع فكري يسعى لتطوير منظور توحيدي تصدر عنه كل العلوم والمعارف."[1] أي من زاوية الفكر الإسلامي، فهو عملية تفعيل الرؤية الإسلامية في كل مجالات العلوم، سواء كانت علوما طبيعية، أو اجتماعية، أو إنسانية، أو شرعية، لأن المعرفة الإسلامية تجمع بين هدي الوحي والخبرة البشرية في عملية تفهم الحقائق.

النظر: اصطلاحا " هو الفكر في حال المنظور فيه ليؤدي إلى المطلوب"[2]، وله معنى الاستدلال كذلك، فمؤداهما واحد.

العلوم العقلية:

يُتداول هذا المصطلح المركَّب في ميدان تصنيف العلوم، ونتقصَّدُ في هذه العجالة التعريف بهذه المفردة كما وردت في تراث علماء الغرب الإسلامي.

ونجدهم ينعتون العلوم العقلية أحيانا بالعلوم الحِكمية أو الفلسفية، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون مؤكدا لهذه الفكرة[3]:" وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث إنّه ذو فكر فهي غير مختصّة بملّة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلِّهم ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النّوع الإنساني، منذ كان عمران الخليقة، وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة، وهي مشتملة على أربعة علوم: الأوّل علم المنطق وهو علم يعصم الذّهن عن الخطإ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تمييز الخطإ من الصواب فيما يلتمسه الناظر،... ثم النظر بعد ذلك عندهم إما في المحسوسات من الأجسام العنصريّة والمكوّنة عنها من المعدن والنّبات والحيوان والأجسام الفلكيّة والحركات الطبيعية، والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك، ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو العلم الثاني منها، وإما أن يكون النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الإلهي وهو الثالث منها، والعلم

[1] أبو بكر محمد أحمد محمد إبراهيم التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية: دراسة في تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية بالجامعة العالمية بماليزيا من تأليف المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط1428/1 ص 33

[2] أبو زكريا فضل بن عبد الله مراد التحقيقات على شرح الجلال للورقات الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م الناشر: (مركز الراسخون، دار الظاهرية) - الكويت

[3] عبد الرزاق بلعقروز باحث أكاديمي جزائري، معنى العلوم العقلية.. سلسلة مفاهيم أستاذ فلسفة القيم والمعرفة في جامعة سطيف بالجزائر، وله عدة مؤلفات /العلوم-العقلية/https://islamonline.net

الرّابع وهو النّاظر في المقادير ويشتمل على أربعة علوم وتسمّى التّعاليم "[1] ويقصد بالأربعة علم الهندسة وعلم الأرتماطيقي، علم الموسيقى و علم الهيئة(الفلك).

إن مصطلح "العلوم العقلية" من المصطلحات المركزية في تراث علماء الغرب الإسلامي بالمغرب والأندلس، وقد استُعمل عموما للدلالة على المعارف والمباحث التي تتأسس على النظر العقلي، في مقابل العلوم التي تعتمد على النقل، أي العلوم التي يُتوصل إلى معارفها بالنظر العقلي والاستدلال البرهاني، ولا يُعتمد في تحصيلها على النص الشرعي وحده.

وقد ارتبط المصطلح بازدهار الحركة العلمية في المراكز العلمية بالغرب الإسلامي كقرطبة، وفاس، ومراكش، وتلمسان، وبجاية.

وبالنسبة لعبد الرحمن الفاسي (ت1096هـ) فإنه لا يعرّف العلوم العقلية بتعريف جامع مانع، بل يعبر عنها من خلال العلوم التي تتضمنها، مثلا في مبحث الدلالة من كتاب الأقنوم في مبادئ العلوم، وهو مبحث يرتبط بالنظر العقلي (دلالة اللفظ بين المعنى الخارجي والذهني) يقول:

"وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِمَعْنًى خَارِجِي***وَقِيلَ لِلذِّهْنِ عَنِ الْفَخْرِ يَجِي[2]"

الغرب الإسلامي:

في الدراسات التاريخية والحضارية يُقصد به المجال الجغرافي الثقافي أو الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي "يشمل الشمال الإفريقي كله غربي مصر وتدخل فيه الصحراء الإفريقية الكبرى والأندلس وهو شبه جزيرة إيبريا...وهما يمثلان ربع عالم الإسلام[3]« . وتتغير حدود هذا المجال تاريخيا حسب الظروف السياسية.

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)، [العِبَر و] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر مراجعة: د. سهيل زكار الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م عدد الأجزاء: ٨ مقدمة ابن خلدون. (629/1-630)

[2] عبد الرحمن الفاسي الأقنوم في مبادئ العلوم المخطوط باب أصول اللغة ص 102. والباحثة العمراني الادريسي ربيعة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- بفاس، أطروحة لنيل الدكتوراه في اللغة =العربية، وعنوانها: "الأقنوم في مبادئ العلوم، علوم اللسان: لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي 1040هـ_1096هـ تقديم وتحقيق، يوم 24 أبريل 2014.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط5/ 1421هـ-2000م، ص7.

المبحث الأول: فلسفة التكامل المعرفي من خلال تصنيف العلوم عند علماء الغرب الإسلامي.

من يتصفح المصنفات التي جادت بها قرائح المفكرين المسلمين يدرك يقينا أنهم طرقوا أبواب العلوم كافة، وتنوعت لديهم ألوان التصنيف وانفتحت على التراث الإنساني والحضاري للأمم الأخرى، ومن ذلك مصنفاتهم حول تاريخ العلوم وتصنيفها، والتي تميزت بلمسة دينية عقدية خاصة.

وإن النظر في العلوم باعتبارها موضوعا لدراسة مبادئها ومباحثها وحدودها والوشائج القائمة بينها من أهم المباحث العلمية والفلسفية التي حظيت بمكانة رفيعة في فكر علماء الغرب الإسلامي وفلاسفته منذ القدم، سواء تعلق الأمر بالنظر العام في النسق المعرفي الإسلامي من حيث مصادره وموضوعاته ومناهجه وتأريخه ونقده والتداخل بين فروعه

العلمية...أو بالنظر في علم معين من حيث نشأته وتطوره وعلاقته بباقي العلوم داخل المنظومة العلمية.[1] ولْنُلق نظرة عامة على التصنيف في هذا الباب عند علماء الغرب الإسلامي.

المطلب الأول: تصانيف العلوم في الغرب الإسلامي

ما يُهمنا هنا هو مدى التكامل بين العلوم في المنظومة العلمية بالغرب الإسلامي، وقد أدى تنوع المعارف ونشاط الحركة العلمية منذ القرن 2هـ/8م إلى ظهور هذا الجنس التصنيفي بالغرب الإسلامي الذي يروم تصنيف العلوم، متأثرا بالنموذج اليوناني كما في المشرق، وتطور خلال القرن الموالي ليزدهر في القرن 4هـ/10م.[2] وقد سار علماء هذا الصقع من أمة الإسلام وخصوصا الفلاسفة منهم على التقليد المتبع في الاهتمام بتصنيف العلوم ومراتبها جريا على عادة المتقدمين في هذا الباب، كيحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي (ت 259 هـ أو 260 هـ) في "فضائل العلم"، و ابن حزم الظاهري (ت 456هـ) في رسالة "مراتب العلوم" وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعضهم، وفيها دعا إلى التهمم بالعلوم "الممكن تعلمها التي قد يتنفع بها في الوقت، وأن يؤثر منها بالتقديم ما لا يتوصل إلى سائره إلا به، ثم الأهم فالأهم".[3]

---

[1] عن د. يونس محسين النظر الإبستيمولوجي مفهومه وأصوله في النسق المعرفي الإسلامي مجلة منار الإسلام www.islamanar.com ص 1

[2] د.سعيد بنحمادة، تصنيف العلوم بين المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط: نماذج مقارنة، مجلة عصور الجديدة- المجلد 7 - العدد 27 صيف- خريف (أكتوبر) 1439 هـ/ 2017-2018ص 69

[3] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) مراتب العلوم المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر عنوان الناشر: بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير- بيروت - لبنان - ت ١/٨٠٧٩٠٠. برقياً - موكيالي - بيروت - ص.ب: ٥٤٦/١١ بيروت الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ١، ١٩٨٠ الجزء: ٢ - الطبعة: ٢، ١٩٨٧ الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٨١الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٨٣ص 62/4 -

وقوله كذلك في نفس المرجع: «العلوم كلها متعلق بعضها ببعض... محتاج بعضها إلى بعض، ولا غرض لها إلا معرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة»[1] وهذه رؤية تنم عن مشروع تكاملي للعلوم عند ابن حزم.

ونذكر كذلك بالغرب الإسلامي، صاعد بن أحمد الأندلسي (ت 462هـ) في "طبقات الأمم" وابن عبد البر أبي عمر (ت463هـ) في "جامع بيان العلم وفضله" الذي تميز ببُعده الفقهي، وأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت1096هـ)" في موسوعته" الأقنوم في مبادئ العلوم،" وبعده اليوسي(ت1102هـ) في "قانون العلوم".

وكمثال على تقسيم العلوم عند علماء الغرب الإسلامي أستعرض ما جاء به في هذا المجال عبدُ الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ)[2] الذي قسم العلوم إلى نقلية وعقلية في كتابه الحافل "المقدمة"، حيث عرض ابن خلدون أهم تصنيف للعلوم في الثقافة الإسلامية، وقسمها إلى:

- علوم نقلية (العقائد، القرآن، التفسير والحديث والفقه)
- وعلوم عقلية (المنطق والرياضيات والطبيعيات والإلهيات)

والعقلية منها تشمل مجالات أربعة:

1) المنطق

2) ثم العلم الطّبيعيّ (العلم الثاني): وهو "النّظر بعد ذلك عندهم إمّا في المحسوسات من الأجسام العنصريّة والمكوّنة عنها من المعدن والنّبات والحيوان والأجسام الفلكيّة والحركات الطّبيعيّة. والنّفس الّتي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك."[3]

3) العلم الإلهي (وهو الثالث)، وهو " النّظر في الأمور الّتي وراء الطّبيعة من الرّوحانيّات."[4]

4) والتعاليم (العلم الرابع) "وهو الناظر في المقادير ويشتمل على أربعة علوم"[5]:

أ- الهندسة

---

[1] المرجع السابق ج90/4.

[2] خصص ابن خلدون الباب السادس من الكتاب الأول، في مقدمته (كتاب العبر) لهذا الغرض تحت عنوان: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال.

[3] ابن خلدون، المقدمة (630/1)

[4] السابق (630/1)

[5] السابق (630/1)

ب- والثاني علم الأرتماطيقي: "وهو معرفة ما يعرض للكمّ المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة".[1]

ت- والثالث علم الموسيقى: "وهو معرفة نسب الأصوات والنّغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء."[2]

ث- والرابع علم الهيئة" "وهو تعيين الأشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والثابتة، والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السّماويّة المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها، واستقامتها وإقبالها وإدبارها."[3] وكل هذه العلوم العقلية تندرج في "أصول العلوم الفلسفيّة" ولكل علم فروع تنبثق منها.[4]

المطلب الثاني: نسقية العلوم وخدمة الحقيقة الدينية

إن العلاقة بين العلوم العقلية والنقلية عند ابن خلدون كغيره من مفكري الإسلام، هي علاقة تكامل،[5] وهو في تعامله مع العلوم جميعها "مرتبط بالقرآن والحديث على سبيل النزعة التأصيلية المرجعية، وهي إشارة إلى أن هذه العلوم ينبغي أن يكون البحث فيها بالحقيقة الدينية الشرعية"،[6] وأساس اعتبار أي علم عنده في المنظومة العلمية الإسلامية هو مدى خدمته لهذه الحقيقة.[7]

وإذا كان الإغريق قد صنفوا الكتب في إطار فلسفي، فقد انتقل التأثير إلى المسلمين وخاصة المنطق الأرسطي، في" تصنيف العلماء المسلمين للعلوم وتبويب المؤلفات، وخاصة "العلوم الدخيلة" حتى تختلف عن العلوم الشرعية."[8] حيث إن منهج المسلمين تميز عن منهج الإغريق في جوانب تفصيلية وجوهرية، ومن ذلك ما حظيت به العلوم الشرعية من مباحث خاصة توضح سياقها البنيوي وعلاقتها بالعلوم العقلية أو علوم الأوائل.[9]

---

[1] السابق (630/1)

[2] السابق (630/1)

[3] السابق (/630)

[4] مثلا " من فروع الطّبيعيّات الطّبّ ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات" السابق

[5] بوساحة أحمد الشريف، تصنيف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر موسم 2014/2013 ص 97

[6] عبد المجيد النجار مباحث في منهجية الفكر الإسلامي (ملف غير مكتمل، حيث ينقصه المبحثان الأخيران: الخامس والسادس) ص 67 وتصنيف العلوم عند مفكري الغرب الإسلامي ص 98

[7] السابق ص 98

[8] د. سعيد بنحمادة تصنيف العلوم بين المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط: نماذج مقارنة، عصور الجديدة- المجلد 7 - العدد 27 صيف- خريف (أكتوبر) 1439 هـ/ 2017 ص 62

[9] نفسه بتصرف ص 62

إن هذه الإنجازات في مجال تصنيف العلوم كان الهدف منها محاولة البحث "عن الكليات النسقية التي تؤطر المعرفة من حيث إيجاد العلاقة بين مختلف العلوم، وإرجاع التعدد (الأجناس العلمية) إلى الأصول البنيوية التي أفرزتها (العلم الكلي) باعتباره نظاما شاملا للمعرفة وليست معارف جزئية، إنه مبادئ العلوم وأصولها وأسسها، وفق نسق واحد."[1]

وهذا ما أوحى إليه ابن حزم (ت 456هـ) من خلال تصنيفه "**مراتب العلوم**"، فتصنيفه للعلوم حَكَمَتْه رؤيتُه الفلسفية المتأثرة جزئيا باليونان، ومن ثم فهو ليس تصنيفا تقنيا للمعارف، بل تصور شمولي يحكمه موقف فكري واضح ومفارق لما كان لدى اليونانيين، بل إن ابن حزم شدد على نسقية العلوم وترابطها.[2] خدمة للتكامل المعرفي.

إذن فالتأليف بين العلوم في هذه التصانيف بُغيته وحدة الهدف بينها، والمتجلي في خدمة الحقيقة الدينية، فكانت العلوم كلها متكاملة متعاضدة لتحقيقه، ووُضعت في قسم منفصل العلومُ المناقضة للعقل والشرع لأنها لا تحقق الهدف، بل تعارضه، وخضعت لتعليقات نقدية توضح خطأها، فجاء تصنيفها في هذا السياق النقدي متوافقا مع التصنيف العام، باعتبار أن "المحمود من العلوم يدفع هذا التصنيف إلى الأخذ به لتحقيق الدين، والمذموم منها يدفع إلى التوقي منه واجتناب ضرره."[3]

المطلب الثالث: البعد التعليمي في تصنيف العلوم

وتبدو علاقة هذه التصانيف بالبعد التعليمي جلية عند معاينة ترتيبها "بناء تربويا يهدف إلى تسهيل طلب العلم على المسلم وتثقيفه بما يتناسب مع الأهداف العليا لحياته كما رسمتها عقيدته،"[4] فهي أقرب إلى اعتبارها برنامجا تعليميا للأمة الإسلامية "في واقع احتياجاتها منها إلى التصنيف الفلسفي للمعرفة الإنسانية عامة."[5]

إنه التكامل المنشود من تصنيف العلوم، خدمة للتكوين العلمي، فمباحث تصنيف العلوم لا تجرد العلوم فحسب، بل ترسم كذلك تصورًا لمسار التكوين العلمي، بحيث تُرتب العلوم وفق الأولوية أو الحاجة أو الوظيفة، فيكون الترتيب تربويًا فيحدد ما ينبغي تعلمه أولا، وما يُحتاج إليه فيما يستقبل.

---

[1] السابق ص 63

[2]- عن أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) رسائل ابن حزم الأندلسي
المحقق: إحسان عباس الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير- بيروت - لبنان - ت ٠٠ ١/٨٠٧٩٠٠. برقياً - موكيالي - بيروت - ص.ب: ٥٤٦/١١ بيروت الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ١، ١٩٨٠ الجزء: ٢ - الطبعة: ٢، ١٩٨٧ الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٨١ الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٨٣ (ج4/25-26) بتصرف.

[3] مباحث في منهجية الفكر الاسلامي ص 34

[4] مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ص 34

[5] نفسه ص 34

ومن هذه الزاوية، يظهر الارتباط الوثيق بين فلسفة التصنيف وفلسفة التعليم، ولذلك ليس من قبيل المصادفة أن يجمع كتاب اليوسي بين «أحكام العلم» و«أحكام العالم» و«أحكام المتعلم»، فهذا الجمع يدل على أن المعرفة لا تنفصل عن مؤسساتها البشرية وطرائق انتقالها.

كما أن وجود اهتمام بالبحث، والتعلم، والتصنيف، والنسخ، ونشر العلم، بحسب ما رصدته الدراسة الحديثة عن مؤلف اليوسي، يسمح بالنظر إلى المعرفة بوصفها دورة متكاملة: يتلقى المتعلم العلم، ثم يدرسه وينقده، ثم يصنفه ويحفظه وينشره، فيتحول بدوره إلى حلقة في استمرار البناء المعرفي.

إن المنهج الإسلامي يختلف عن اليوناني برؤيته العقدية المؤطرة لتصنيف العلوم، واحتلال العلوم الشرعية للأولوية في التصنيف؛ حيث حظيت هذه العلوم بمباحث خاصة،[1] والعلوم كلها في عرف علماء الغرب الإسلامي خادمة للحقيقة الدينية، والعلوم "التي لا تنسجم مع هذه الحقيقة فهي محظورة وخارج النسق ...وكل العلوم ضرورية له (أي للتوحيد)، وتضافر كل العلوم النقلية والعقلية لخدمة الشريعة،"[2]دون إغفال البعد التعليمي في تصانيف المفكرين المسلمين.

المبحث الثاني: اليوسي وكتاب «القانون» نموذجًا لفلسفة التكامل المعرفي

ومن المصنفات المعتبرة نجد مُصَنَّفي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096ه) والحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102ه)[3] في تناول العلوم الرائجة بالغرب الإسلامي، وهي من أشهر ما ألف في هذا المجال في الغرب الإسلامي، وذلك ضمن سياق تعليمي وإبستمولوجي معين، ويُعتبران إضافة نوعية لرصيد الغرب الإسلامي في مجال "ترتيب العلوم" في العصر الحديث.

[1] عن تصنيف العلوم بين المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط ص 62

[2] تصنيف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي ص 100

[3] عرف بنفسه في المحاضرات في الأدب واللغة تح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال دار الغرب الإسلامي بيروت ط1402/2 ص وترجمته متاحة في عدة مصادر.

المطلب الأول: جرد العلوم المتداولة في زمن اليوسي

سأقتصر على تصنيف اليوسي الذي يُميّز كغيره من العلماء بين نمطين من المعارف: علوم النقل (الشرعية)، وعلى رأسها العقائد، التفسير، الحديث، والفقه، وعلوم العقل (النظرية)، وعلى رأسها المنطق، الفلسفة، الحساب، والتطبيقية كالتنجيم، والاسطرلاب الهندسة، والأرصاد.[1]

فالتقسيم امتداد للتمييز التقليدي في الوسط العلمي المغربي بين العلوم المستمدة من **الوحي** (النقلية)، والتي تنبنى على **النظر العقلي** (العقلية).

فهو من أهم الكتب المغربية التي أحصت العلوم الإسلامية بمجالها: العقلي الكوني والشرعي، وتناولتها بقدر كبير من العمق والشمولية.

ومن سمات هذه المؤلفات التي تعنى بترتيب العلوم رَسمُها لشبكة العلاقات بين هذه العلوم بنوعيها، والتي تُفصح عن تكامل بين حقول المعرفة الإسلامية، وهذا من أسباب تفوق الحضارة الإسلامية، حيث إن المسلمين تحقق نبوغهم العالمي بفضل موسوعية معارفهم وتنوعها وتكاملها، وأبرز تعبير عن مظاهر هذا التكامل ما حوته كتب تصنيف العلوم، كما هو الشأن في **مقدمة ابن خلدون** و**الأقنوم في مبادئ العلوم** لعبد الرحمن الفاسي، و**القانون** لليوسي.

يتناول الحسن اليوسي في كتابه «القانون" المنظومة العلمية من متجاوزا التصنيف والترتيب، إلى تحديد مراتبها ووظائفها وعلاقات الترابط والتداخل بينها، مما يستحث الدارسين على استكشاف ملامح التصور التكاملي للعلوم عند اليوسي.

وفي "**القانون**" استوعب اليوسي كل المجالات العلمية، فكان حلقة وسط بين السابقين واللاحقين من أعلام الغرب الإسلامي، وهو في استقصائه يعقب ويناقش ويضيف، مما يدل دلالة قاطعة على سعة اطلاعه.[2]

---

[1] علوم النقل أو المقاصد وهي العلوم المتّصلة بالاعتقاد والعمل والامتثال والتفكّر والاعتبار كالعقيدة التفسير الحديث، والفرائض، وعلوم الآلة أو الوسائل أو العلوم الصناعية التي تُعين على دراسة علوم النقل وفهم مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإقامة اللسان وبناء الأقوال والأفعال والتّصورات بناءً سليمًا كعلوم اللغة، المنطق، علم أصول الفقه، أصول التفسير، ومصطلح الحديث. انظر محمد عبد اللطيف وموضوع "أقسام العلوم الشرعية والفرق بين علوم الوسائل و علوم الغاية والفرق بين ظاهر العلم وباطنه" ، https://majles.alukah.net/showthread.php?t=180669 الأحد 19 إبريل 2026 ميلادي

[2] اليوسي القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، تح حميد حماني مطبعة شالة الرباط ط 1 نونبر 1998.ص 91

المطلب الثاني: الوظيفة المنهجية للتصنيف

إن تصنيف العلوم عند اليوسي ليس وصفيا فقط، بل هو طريقة لضبط مراتب العلوم، وتحديد العلاقات بينها: آلة /غاية، أصل/فرع، فالنقلية هي الغاية، ثم العقلية كأداة للنظر والاستدلال، والتطبيقية التي تتوخى خدمة المجتمع، وبذلك شكّل هذا الكتاب على غرار صنيع عدد من علماء الغرب الإسلامي مزيجاً فريداً بين العلوم النقلية والعقلية النظرية كالرياضيات، الفلك والتطبيقية (الطب، الهندسة، الزراعة) خدمة للمجتمع، وتأدية للفرض الكفائي في اكتساب هذه المعارف، والأمر ليس إلا تعبيرا عن فلسفة إسلامية تربط العلوم بالتطبيق العملي، كما يربط بين العلوم ومقاصدها، ويعتبر المقصدُ معيارا لقبول العلم أو رده، سواء كانت هذه العلوم مقصودة لذاتها أم وسيلة إليه.[1]

من هنا يتبين أن الخيط الرابط بين العلوم عند اليوسي هو خدمة الشريعة الإسلامية.

فنستنتج من ذلك معيارا من معايير التكامل المعرفي عند اليوسي، وهو البحث عن مشروعية العلوم، ووظيفتها ونفعها. لذلك فالسؤال عنده لا يتمثل في كون العلم عقلي أم نقلي فحسب؟، بل: ما طبيعته؟ وما فائدته؟ وما علاقته بمصالح المجتمع المعتبرة شرعا؟ وبناء على ذلك يتضح مدى مشروعية الاشتغال به؟ وبذلك تكشف هذه الرؤية عن مرونة اليوسي في تناول العلوم التي هي خارج السياق الإسلامي.

وقد كان لليوسي موقفا إيجابيا من هذه العلوم مجتمعة، وذلك "لِسَعة أفقه وبعد مراميه في زمنه من خلال الحث على التعامل مع العلوم جميعا، مهما كانت طبيعتها ومصدرها، يكفي فيها أن تخدم المسلمين وتشد عضدهم، ولا تتعارض مع أصول معتقداتهم."[2]

وكل المصنفات المتقدمة على اليوسي لم تستوعب ما جمعه في كتابه القانون، وهي إما بعضها أكد على فضل العلم، أو غلب على بعضها ذكر تنظيم العلاقة بين التلميذ والشيخ، وبعضها غلب عليها ترتيب العلوم المتصلة بالمنظومة العلمية الإسلامية.[3]

[1] الحسن بن مسعود اليوسي الفهرسة تح زكريا الخثيري بحث لنيل درجة الدراسات العليا المعمقة بجامعة محمد الخامس الرباط سنة 2004 ص 12
[2] القانون في أحكام العلم ص 11
[3] كما فعل عبد الرحمن بن عبد القادر في موسوعته السالفة الذكر

المطلب الثالث: التكامل بين العلوم الشرعية والعقلية من خلال منطق التصنيف

يحتل علم المنطق موقعًا محوريًا في تصنيف اليوسي للعلوم، حيث يُعد آلة لفهم وتعاطي **العلوم**، فهو أداة للفهم الصحيح ولعصمة للذهن من الخطإ، ووسيلة لتوجيه الاستدلال، ضمن قواعد الدين.

وهذا التصنيف الذي أحصى العلوم الرائجة في زمن اليوسي يجمع ما بين العلوم العقلية والنقلية في منظومة متكاملة، فالعلوم العقلية لا تستمد مشروعيتها من انتمائها إلى منظومة علمية دينية ما، وإنما من إمكانية توظيفها في بناء المعرفة النافعة، وهذه إحدى صور التكامل بين العلوم عند اليوسي، فالعلم الإلهي والذي هو أحد فروع الفلسفة هو "العلم الباحث على الموجود، من حيث ثبوته وما يعرض له، أو عن المعلوم من حيث هو، على الخلاف في موضوعه على ما سيذكر، ومنفعته تبيين المعتقد الحق من الباطل، وسمي إلهيا لأن فيه أحكام الربوبية، وهذا العلم هو المقصود بالذات للإنسان في كماله، وفوزه في الدارين، وكل ما سواه من العلوم تبع له، فما كان منها دينيا فوسيلة إليه، وما كان دنيويا فبمثابة الخديم، ولهذا توفرت رغبات العقلاء على طلبه."[1] كما أظهر **Justin Stearns** في دراسته حول العلوم العقلية والطبيعية في عصر اليوسي أي في القرن 11 الهجري بالمغرب العلوي أن اليوسي كان مُؤيِّدا لدراسة العلوم الطبيعية والعقلية، وظهر ذلك من خلال التصنيف الذي عرضه في القانون.[2] وللإشارة فإن اليوسي درس بجانب العلوم النقلية المنطق والفلك والهندسة والحساب والطب، والتنجيم والتوقيت والسيمياء كالجداول واختلاف أنواعها،[3] وهو ما يعكس اتساع تجربته العلمية، مما أهله لرسم فلسفة تكاملية للعلوم من خلال موسوعته في تصنيف العلوم، ويشهد لتنوع معارفه وفرة آثاره التي تربو على النيف والأربعين كتابا ورسالة في مختلف العلوم، من أدب وفقه وأصوله وحديث وتصوف ومنطق، ويذكر محمد بن الطيب القادري أن اليوسي: "كان عالما ماهرا في المعقول والمنقول وبحرا زاخرا في المعارف والعلوم،"[4]

إن العلوم العقلية كالمنطق ليست الغاية، بل آلة خادمة للعلوم النقلية من حيث فهم النصوص وطرائق الاستنباط وصياغة الحجج العقلية للدفاع عن العقائد.

وعموما يقسم اليوسي العلوم إلى ما هو مقصود لذاته كالفقه والتفسير ومقصود لغيره أي خادم له كعلوم اللغة والطب والحساب والمنطق،[5] وهذا تصور ينسجم مع رؤيته التكاملية للعلوم.

---

[1] القانون ص 149

[2] ستيرنز كل علم نافع وحي مجلة الشريعة الإسلامية والمجتمع 2014/21

[3] فهرسة اليوسي تح الخثيري ص 76

[4] محمد بن الطيب القادري نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني تح ذ محمد حجي وذ أحمد التوفيق مكتبة الطالب الرباط /1986/ج 3 / 25-49

[5] القانون ص 146

وكتاب **القانون** نتاج توظيف مؤلفه لملَكة إدراكية عقلية تقوم على النظر والترتيب، والهدف تظافرُ هذه العلوم لخدمة الإنسانية في العاجل والآجل لا مجرد عرض مرتب للمعلومات.

في تناوله " للعلوم الفلسفية، يقدم اليوسي تصنيفاً يذُكرّ بالنظام الأرسطي الثلاثي للعلوم النظرية (الرياضيات، والعلوم الطبيعية، وعلم الكلام)، والتطبيقية (السياسة والأخلاق)، والإنتاجية (الفنون، والبلاغة، والطب، والزراعة، وبناء السفن). ويركز اليوسي فقط على العلوم النظرية (مع عرض موجز للميتافيزيقا) ... بعض العلوم الإنتاجية (الفنون، والبلاغة، والطب، والزراعة، وبناء السفن) تظهر لاحقاً ضمن العلوم الإسلامية."[1]

فالمؤلف يَنظر إلى العلوم باعتبارها منظومة منسجمة تخدم الغايات الدينية والعقلية.

هذا الامتداد التراثي يسير على خطى ابن حزم الظاهري وأبي حامد الغزّالي وابن خلدون وغيرهما ممن اهتم بفلسفة العلوم وتصنيفها.

ويظهر البعد الفلسفي عند الحسن بن مسعود اليوسي جليا في تناوله لمجالات المعرفة والعلوم من خلال كتابيه "قانون العلوم"[2] و"فهرسة اليوسي" متمثلا في نظرته الشمولية للمعارف، فلم يهمل العلوم العقلية لحساب علوم النقل، ونجده قد أوضح هذا التكامل بشكل جلي عندما تحدث عن العلوم الإسلامية وكيف يندرج بعضها تحت بعض وكيف تدور علوم متعددة في فلك موضوع عام، وكيف يتعلق بعضها ببعض، وذلك في كتابه الحافل: "**القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم.**"[3]

ولا يسعني إلا أن أقف منه موقف الإجلال لنظرته التكاملية للعلوم عقليها ونقليها، فالمعرفةُ يؤكد من خلال كتابه الحافل، على أنها مترابطة ومتماسكة[4]، مقدما بذلك تصورا متكاملا للمعرفة، ويبدو ذلك جليا من خلال الدعوة للتعامل مع العلوم جميعا، مهما كان مصدرها، والمعيار عنده أن تخدم المجتمع، ولا تصطدم مع معتقدات المسلمين.

---

[1] اليوسي والتوحيد والبنية الفكرية العقائدية كلير جاليين كلية كامبردج المسلمة وكلية اللاهوت، جامعة كامبردج، المملكة المتحدة الإسلاميّة، مجلّة الدراسات الإسلامية، (2024) 1–22ص9 حسب النص المترجم.

[2] القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي تح حميد حماني مطبعة شالة الرباط ط 1 نونبر 1998 وطبع كذلك سنة 2003 م ب دار المدار الإسلامي - بيروت تحقيق جمعة الفيتوري.

[3] انظر بحث جاليينك. (2024) اليوسي والتوحيد والبنية الفكرية العقائدية

[4] كلير جاليين الحسن اليوسي والتوحيد والبنية العقائدية للمعرفة الإسلامية كلية كامبردج المسلمة وكلية اللاهوت، جامعة كامبردج، المملكة المتحدة الإسلاميّة، مجلّة الدراسات الإسلامية، (2024) 1–22

المطلب الرابع: البعد الديني لترتيب للعلوم

كما تعكس علوم النظر عند اليوسى كالمنطق والفلسفة والجدل، لا سيما ما حرره في كتابه "**القانون**"، تزاوجا بين الإيمان ونظرية المعرفة[1]، وتركيزا على شمولية المعرفة، مع جعل اليوسي الفلسفة الإسلامية إطارا لمناولته للعلوم[2]، حيث يقدم تصنيفا للعلوم يربط فيه بين العلوم الإسلامية والفلسفية، وهكذا يدمج اليوسي بين الإيمان والدين والتميز الروحي في تنظيم العلوم، ويسلط الضوء على الأسس الإيمانية لنموذجه المعرفي.[3]

ورغم أن اليوسي لم يتناول مصادر العلوم بالدراسة على طريقة الفلسفة الحديثة، إلا أنه لم يتبنَّ مصدرا وحيدا للمعرفة، بل تشمل المصادر في نظره كلا من، الشرع، والإحساس، والفطرة، والعقل، والتجارب، والحدس.[4]

وبذلك "أثرت العقيدة الإسلامية بشكل مباشر على الأبعاد المترابطة والمتماسكة والشاملة لترتيب العلوم لدى اليوسي."[5] ويمكن تَلَمس "الدورِ البنيوي الفريد للتعريف الثلاثي للدين ب أنه "إيمان – إسلام – إحسان" في كتابات اليوسي ووظيفة التوحيد في مفهومه للمعرفة."[6]

خاتمة:

نجمل الخصائص العامة لفلسفة تكامل العلوم حسب ما تستبطنه كتب التصنيف لدى علماء الغرب الإسلامي في النقاط التالية:

- التقليد المتبع لدى علماء الغرب الإسلامي ارتبط بتصنيف العلوم وترتيبها.
- عدم الفصل بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة، أي التوفيق بين العقل والنقل.
- إن فلسفة التكامل المعرفي عند علماء الغرب الإسلامي ليست فلسفة مجردة، بل هي:

---

[1] نظريَّة المَعرِفة: "البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشَّخص والموضوع، أو بين العارف والمعروف، وفي وسائل المعرفة الفطريّة أو المكتسبة." معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (2233/3)

[2] الحسن اليوسي والتوحيد والبنية العقائدية للمعرفة الإسلامية كلير جاليين

[3] السابق

[4] نبيل طنطاني، «مدخل إلى نظرية المعرفة عند الحسن اليوسي من خلال كتاب القانون»، مجلة الإبصار، ع. 3-4، جمعية إبصار للتربية والثقافة والبحث العلمي، المغرب، 2018، ص. 71-76.

[5] الحسن اليوسي والتوحيد والبنية العقائدية للمعرفة الإسلامية كلير جاليين كلية كامبردج المسلمة وكلية اللاهوت، جامعة كامبردج، المملكة المتحدة ص4

[6] السابق

فلسفة تروم التطبيق والتعليم، غايتها ضبط المعرفة، ووضع نسق يوضح مراتب العلوم، وتحديد مناهجها، في خطة تجمع بين العقل الشرعي والعقل الفلسفي، وتخدم العمران والعلم.

لقد انتقلت العلوم العقلية في الغرب الإسلامي من مرحلة الازدهار الفلسفي خصوصا في القرنين 5–6 هـ إلى مرحلة التكامل بين العلوم العقلية والعلوم الشرعية خصوصا في القرنين (7–9 هـ)، ثم أصبحت علوم النظر كالمنطق والكلام والتطبيقية كالحساب والهيئة على العهد العلوي جزءًا من مقررات التعليم، كما يظهر في كتب "مبادئ العلوم" لعبد الرحمن الفاسي وقانون اليوسي، أي وُظِّفَت تعليميا.

إن فلسفة التكامل المعرفي عند اليوسي تقوم على مرتكزات أساسية منها:

- استقلال العلوم موضوعا ومنهجا، وتكاملها وظيفة وغاية.

وبناء عليه أمكن الجمع بين التصنيف والتكامل؛ كلما اتضحت مسائل العلم وحدوده، تيسر تحديد موضعه ورُسمت شبكة العلاقات بينه وبين العلوم الأخرى بصورة أوضح.

- وحدة النسق المعرفي، مع تعدد المجالات المعرفية، وترابط العلوم من خلال المبادئ والوظائف، وخدمة الغاية الدينية، والتكامل بين التعليم والتعلم. إن المعرفة مقصدها كلي متمثل في خدمة الدين، ومتنوعة في علومها، ومتكاملة في وظائفها، فالعلوم غير مستقلة عن غيرها، فالعلم في علاقته بالعلوم تمهّد له أو تخدمه أو يستفيد من نتائجها.

إن كتاب اليوسي "القانون" يمثل نموذجًا مهمًا تتجسد فيه خصائص ومرتكزات فلسفة التكامل المعرفي في الغرب الإسلامي؛ لأنه يتناول العلوم ببعديها التكاملي والتعليمي، ويبرهن عن تصور شامل للمعارف. ويأتي وصف البعض للكتاب ب «قانون العلوم» بما ينسجم مع مكانته ضمن المصنفات التي اهتمت بتنظيم المعرفة.

إن علم تصنيف العلوم يمثل مدخلًا مهما لاستجلاء المعالم الفلسفية للتكامل المعرفي؛ إذ المعرفة ليست جزرا من العلوم المتجاورة، بل هي نسق تترابط وتنسجم داخله التخصصات.

ينبغي أن تُوجَّه دراسات التصنيف عند علماء الغرب الإسلامي في العصر الحديث إلى تحليل النسق الفلسفي الذي يحكم التصنيف؛ لأن هذا النسق هو الذي يستبطن مفاهيم الوحدة والانسجام والتدرج والتكامل، وهي مفاهيم تسهم في الكشف عن الخصوصية الإبستمولوجية للفكر العلمي في الغرب الإسلامي.

إن جهود أبي علي اليوسي في فقه العلوم وقضاياه في الغرب الإسلامي؛ هي امتداد لسلسلة من العطاءات في هذا المجال مجال النظر الإبستمولوجي في العلوم وتطعيم لجهود العلماء السابقين كابن حزم وابن خلدون وعبد الرحمن الفاسي التي اهتمت بنقد العلوم، والعلوم العقلية منها بوجه خاص، والمطلوب أن نستفيد من هذه الجهود في تحريك آليات النظر المعرفي وإغناء مباحثه، وأن نُعمل النظر في ثرات علمائنا بنهج مأصول يستفيد من موارد العصر ومدارسه، مع حفظ خصوصية النسق المعرفي في الغرب الإسلامي، وأسُسِ دراسة علومه.

لا شك أن الحسن اليوسي وقبله من العلماء كعبد الرحمن الفاسي قد أسهموا في إغناء النظر الفلسفي في مجال المعرفة بالغرب الإسلامي من خلال كتاباتهم النوعية التي تتماشى مع روح "الفلسفة الإسلامية التي بدأت بتأييد العلم، والاعتراف بالعقل، والنظر في الإنسان كيف يُفسِّر حقائق الكون وأسراره العميقة، وكيف بعد أن يهتدي إلى القوانين يُطبِّقها على الحياة؛ ليبلغ السعادة، ويُحقِّق ما يجمل به أن يكون عليه،...ونحن نرجو أن تُكتب للفلسفة العربية قصة جديدة بعد أن بُعثت بعثا جديدا على يد الثورة الكبرى في مجتمعنا العربي،"[1] ثورة على الجمود والتقليد.

لقد لعبت العلوم دورا مهما في تشكيل الثقافة العلمية في المغرب وباقي الغرب الإسلامي، منذ بداية العصر الحديث، فأصبح التوازن بين العقل والنقل من سمات الفكر الإسلامي في المغرب العلوي، فأكسب هذا الفكر القدرة على الانتشار ومخاطبة نظيره الأوروبي.

ومع ذلك فلابد من إجراء دراسات من شأنها تعميق النظر في العلاقة بين العلوم النقلية والعقلية في إطار تكامل معرفي لا صراعي، كما يجب أن تبين الدراسات كيف تمكن ثلة من علماء الغرب الإسلامي كالحسن اليوسي وعبد الرحمن الفاسي من خلق توازن بين العلوم نقليها وعقليها، واعتبروا العلوم العقلية آلات للفهم والاستنباط لا مجرد جزر علمية نائية.

[1] أحمد فؤاد الأهواني الفلسفة الإسلامية مؤسسة هنداوي 2023 ص 93

المصادروالمراجع

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)، **[العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة: د. سهيل زكار الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م عدد الأجزاء: ٨ (الثامن فهارس) مقدمة ابن خلدون.
- أبو بكر محمد أحمد محمد إبراهيم **التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية**: دراسة في تجربة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية بالجامعة العالمية بماليزيا من تأليف المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط1428/1.
- أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت1096هـ) **نظم علم الشمائل من كتاب الأقنوم في مبادئ العلوم** تح وتعليق أ. كريم بلحاج مصطفى .
- أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي **فهرسة اليوسي** تحقيق زكريا الخثيري بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة أجري في جامعة محمد الخامس الرباط سنة 2004م إشراف د. الأستاذ جعفر بلحاج السلمي.
- أبو زكريا فضل بن عبد الله **التحقيقات على شرح الجلال للورقات** مراد الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م الناشر: (مركز الراسخون، دار الظاهرية) – الكويت.
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) **مراتب العلوم** المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر عنوان الناشر: بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير- بيروت - لبنان - ت ١/٨٠٧٩٠٠. برقيا - موكيالي - بيروت - ص.ب: ٥٤٦/١١ بيروت.
- الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ١، ١٩٨٠ الجزء: ٢ - الطبعة: ٢، ١٩٨٧ الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٨١الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٨٣.
- أبو المواهب الحسن بن مسعود **اليوسي القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**، تح حميد حماني مطبعة شالة الرباط ط 1 نونبر 1998 وطبع كذلك سنة 2003 م ب دار المدار الإسلامي - بيروت تحقيق جمعة الفيتوري.
- أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي **الفهرسة** تح زكريا الخثيري بحث لنيل درجة الدراسات العليا المعمقة بجامعة محمد الخامس الرباط سنة 2004.

- أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي **المحاضرات في الأدب واللغة** تح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال دار الغرب الإسلامي بيروت ط1402/2.
- أحمد فؤاد الأهواني **الفلسفة الإسلامية** مؤسسة هنداوي 2023.
- الباحثة العمراني الادريسي ربيعة، تقرير دراسة حول كتاب: **الأقنوم في مبادئ العلوم**، علوم اللسان: لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (1040هـ_1096هـ) برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- بفاس، مناقشة أطروحة.
- بوساحة أحمد الشريف، **تصنيف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر موسم 2014/2013.
- جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ) السيوطي **إتمام الدراية لقراء النقاية** دار الكتب العلمية بيروت.
- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، ط5/ 1421هـ-2000م.
- عبد الرزاق بلعقروز **معنى العلوم العقلية.. سلسلة مفاهيم** باحث أكاديمي جزائري، أستاذ فلسفة القيم والمعرفة في جامعة سطيف بالجزائر، وله عدة مؤلفات /العلوم-العقلية/ https://islamonline.net
- جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ) السيوطي **إتمام الدراية لقراء النقاية** دار الكتب العلمية بيروت
- جمال بامي **عبد الرحمن الفاسي** ميثاق الرابطة جريدة أسبوعية إلكترونية تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء العدد 238 بتاريخ 2016/10/27 ميثاق الرابطة.
- الزوهرة الصنهاجي **مناهج الفكر النقدي الإصلاحي عند أبي علي الحسن اليوسي** مجلة الحوار المتوسطي عدد 15-16.
- د. سعيد بنحمادة **تصنيف العلوم بين المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط: نماذج مقارنة**، عصور الجديدة- المجلد 7 - العدد 27 صيف- خريف (أكتوبر) 1439 هـ/ 2017.
- عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي مخطوط **الأقنوم في مبادئ العلوم** الخزانة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، رقم 6585
- عبد الله المرابط الترغي **أعمال السوسيين في كتابة الفهرسة: لائحة ببليوغرافية** العدد 367 ربيع 1- ربيع 2/ماي-يونيو 2002 /https://www.habous.gov.ma

- عبد المجيد النجار **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي** (الملف غير مكتمل، حيث ينقصه المبحثان الأخيران: الخامس والسادس).
- د محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية** دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ط1/1977.
- محمد بن الطيب القادري نشر **المثاني لأهل القرن الحادي عشروالثاني** تح ذ محمد حجي وذ أحمد التوفيق مكتبة الطالب الرباط /1986.
- د. محمد عابد الجابري، **مدخل إلى فلسفة العلوم**، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمين مركز دراسات الوحدة العربية، ط 5 بيروت 2002.
- محمد عبد اللطيف **أقسام العلوم الشرعية والفرق بين علوم الوسائل وعلوم الغاية والفرق بين ظاهر العلم وباطنه**، https://majles.alukah.net/showthread.php?t=180669 الأحد 19 إبريل 2026 ميلادي
- عبد الله كنون الحسني (ت1409هـ) **النبوغ المغربي في الأدب العربي** الناشر: لا يوجد الطبعة: الثانية، ١٣٨٠ هـ عدد الأجزاء: ٣ (متسلسلة الترقيم)
- كلير جاليين **الحسن اليوسي والتوحيد والبنية العقائدية للمعرفة الإسلامية** كلية كامبردج المسلمة وكلية اللاهوت، جامعة كامبردج، المملكة المتحدة.
- محمد عبد اللطيف **"أقسام العلوم الشرعية والفرق بين علوم الوسائل وعلوم الغاية والفرق بين ظاهر العلم وباطنه"** ، 19إبريل 2026 م. https://majles.alukah.net/showthread.php?t=180669الأحد
- نبيل طنطاني، «**مدخل إلى نظرية المعرفة عند الحسن اليوسي من خلال كتاب القانون**»، مجلة الإبصار، ع. 3-4، جمعية إبصار للتربية والثقافة والبحث العلمي، المغرب، 2018.
- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة **المعجم الوسيط** الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة: الثانية.
- يونس محسين **النظر الإبستيمولوجي مفهومه وأصوله في النسق المعرفي الإسلامي** مجلة منار الإسلام www.islamanar.com